ليلى الأخيلية
أشهر الشاعرات

هي شاعرة من أشهر شاعرات العرب.

اسمها "ليلى بنت عبد الله بن الرحال بن شداد الأخيلية"، من المتقدمات في الإسلام.

كان يهواها رجل من العرب، هو "توبة بن الحمير" وكانت هي تبادله حباً بحب، فخطبها من أبيها، فرفض أن يزوجه بها، وزوجها رجلاً آخر، لكن توبة عجز عن قهر حبه، فظل يذهب إلى ليلى متحيناً الفرصة لرؤيتها والحديث معها، فعاتبه أخوها على ذلك، لما يسببه من حرج، فلم يرتدع، فلما علم زوجها وكان غيوراً: أقسم ليقتلنه لو جاء، وليقتلن ليلى لو حذرته، فتحايلت ليلى على تحذير توبة، دون أن تحنث بالقسم، فنجا من الموت بأعجوبة.

لكنه مات مقتولاً على أية حال، بعد فترة وجيزة، بيد بني عوف، فحزنت ليلى عليه حزناً شديداً، وقالت ترثيه:

نظرت ودوني من غمامة منكب ... وبطن الردى من أي نظرة ناظر

وتوبة أحيى من فتاة حيية ... وأجرأ من ليت بـ"خفان" خادر

ونعم فتى الدنيا ولو كان فاجراً ... ونعم الفتى إن كان ليس بفاجر

obeikandl.com

وتدفق شعرها قصائد وهاجة، تتغنى بفضائل حبيبها وفجيعتها فيه.

وقد تبوأت ليلى مكانة عالية بين الشعراء العرب العظام، وصلت إليها بموهبتها الفذة وعبقريتها الواضحة، وكان سادات العرب يقدرونها ويتعاملون معها بكل إجلال وتعظيم.

وجدير بالذكر أن العلماء اختلفوا فيما بينهم، فيما أيهما أشعر: ليلى، أم الخنساء؟!

فقال الأصمعي: إن ليلى أشعر من الخنساء.

وقال أبو زيد: ليلى أكثر تصرفاً، وأغزر مجرى، وأقوى لفظاً. والخنساء أذهب عموداً في الثراء.

كذلك فقد فضّل العرب ليلى على بعض الشعراء المعاصرين لها، منهم النابغة الجعدي، والذي كانت له معها حكاية مشهورة.. وذلك أن رجلاً من قبيلة قشير اسمه "ابن الحيا" نظم قصيدة هجا فيها النابغة الجعدي وسب أحواله، بسبب نزاع كان بين قشير وبني جعدة، فأجاب النابغة على هذا الهجاء بقصيدة مشهورة، عنوانها "الفاضحة" ذكر فيها مساوئ قشير وعقيل وذمهم بشكل لاذع وعنيف، ثم أخذ يذكر مآثر قومه، مفاخراً بصفاتهم وأياديهم، وهنا تدخلت ليلى في الموضوع، حيث ألقت بعض الأبيات الشعريه معلنة عن رأيها في الأمر، وهو ما لم يرق للنابغة، فردّ عليها يعلن عن غضبه شعراً، فلما عرفت ليلى أنه هجاها: ردت عليه بقصيدة

طويلة، حسمت بها هذه المعركة الشعرية لصالحها، فقد انتصرت عليه وغلبته، ولم يعد هناك كلام يقال بعد هذا الشعر الموجع، والكلام الفاضح الذي وجهته ليلى إلى النابغة، حتى قرر هو وقومه الاحتكام إلى أمير المؤمنين، حتى تكف ليلى عن التعريض له، والتشهير به هو وأهله بشعرها.

ويحكى أيضاً، أنها ذات مرة قالت الشعر في الحجاج تعظه، فأمر بقطع لسانها، ثم عاد وعدل عن ذلك.

وكانت تعبر بشعرها عن عواطفها ومشاعرها في كل المواقف التي تمر في حياتها، فقالت في عثمان بن عفان:

أبعد عثمان ترجو الخير أمته — وكان آمن يمشي على ساق
خليفة الله أعطاهم وخولهم — ما كان من ذهب جم وأوراق
فلا تكذب بوعد الله وارض به — ولا توكل على شيء بإشفاق
ولا تقولن لشيء سوف أفعله — قد قدر الله ما كان امرئ لاق

وفي يوم اجتمعت مع معاوية بن أبي سفيان، فسألها عن توبة بن الحمير..

فقال: ويحك يا ليلى، أكما يقول الناس كان توبة؟

قالت: يا أمير المؤمنين كان سبط البنان، حديد اللسان، شجاً للأقران، كريم المختبر، عفيف المنذر، جميل المنظر، وهو يا أمير المؤمنين كما قلت له. قال: وما قلت له؟ قالت:

حماهم بنصل السيف من كل قادح — يخافونه حتى تموت خصائله
بعيد الثرى لا يبلغ القوم قفره — ألدَّ ملدَّ يغلب الحق باطله

إذا حـل ركب في ذراه وظلـــه ليمنعهم مما تخاف نوازلـه
حماهم بنصل السيف من كل قادح يخافونه حتى تموت خصائله

فأمر لها معاوية بجائزة عظيمة، بعد أن استمع منها لعدد من القصائد.

وهناك واقعة غريبة في حياة ليلى، يحكيها أبو الخصيب، ففي أحـد الأيام، كانت ليلى مقبلة من السفر، فمرت على قبر توبة وكان معـــها زوجها، فأوقفت هودجها على مقربة من القبر، وقالت لزوجها: والله ما أبرح حتى أسلم عليه، فرفض زوجها، وحاول أن يرغمها على معاودة السفر، إلا أنها تشبثت برأيها، فاضطر أخيراً على إجابة طلبها.

فذهبت ليلى ووقفت أمام قبر توبة، وقالت: السلام عليك يا توبـة، ثم سكتت عدة دقائق، بعدها تحولت إلى رفاقها الذين اصطحبوهـــا، وقالت لهم: إنها المرة الأولى التي يكـــذب فيـــها علـــيَّ، فســألوها مندهشين: كيف؟ ردت عليهم: أليس هو الذي قال:

ولو أن ليلى الأخيليـــة سلّمت عليَّ، ودونـــي تربـــة وصفائـــح
لسلمت تسليم البشاشة أوزقي إليها صدى من جانب القبر صائح
وأغبط من ليلى بما لا أنالـــه ألا كل ما قرت به العين صـــــالح

فما باله لم يسلم عليّ كما قال!!

ثم ذهبت ليلى إلى هودجها، وركبته، وكانت إلى جـــانب القـــبر بومة كامنة، فلما رأت اهتزاز الهودج فزعت، فطارت فـــي وجـــه الجمل، حتى نفر ورمى بحمله، فوقعت ليلى على رأســـها، ومـــاتت من فورها، ودُفنت بجانب توبة.